

تَرْغِيمٌ مُّسَرَّحٌ

الشرح والإبانة

على

أُصُولِ السُّنَّةِ وَالْإِيمَانِ

لِلْإِمَامِ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ بْنِ بَطَّاسٍ الْعَبَّاسِيِّ

فَضْلُهُ السَّنْبَةُ الرَّكْبَةُ

مُحَمَّدُ بْنُ هَاشِمٍ ابْنِ عَبْدِ اللَّهِ خَلِيٍّ

قادر بما خُفِيَ التَّغْرِيبَاتِ بِمَوْقِعِ حَيْرَاتِ الْأَنْبِيَاءِ

www.miraath.net

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

يسر موقع ميراث الأنبياء أن يقدم لكم تسجيلًا لدرس في شرح كتاب

الشرح والإبانة على أصول السنة والإبانة

للإمام ابن بطة العكبري

- رحمه الله -

ألقاه

فضيلة الشيخ الدكتور: محمد بن هادي المدخلي

- حفظه الله تعالى -

في مسجد بدر العتيبي بالمدينة النبوية،

نسأل الله - سبحانه وتعالى - أن ينفع به الجميع.

الدرس الأول

بسم الله، والحمد لله وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليماً كثيراً إلى يوم الدين؛ قال الإمام أبو عبد الله ابن بطة -رحمه الله تعالى- في كتابه الشرح والإبانة قال: "وَمِنْ أَسْنَةِ التَّكْبِيرِ عَلَى الْجَنَائِزِ أَرْبَعُ تَكْبِيرَاتٍ، فَإِنْ كَبَّرَ إِمَامُكَ أَكْثَرَ فَمِنْ أَسْنَةِ -أَيْضًا- أَنْ تَتَّبِعَهُ بَعْدَ أَنْ تَرَى أَنَّهَا أَرْبَعٌ فَقَدْ قَالَ ابْنُ مَسْعُودٍ: كَبَّرَ مَا كَبَّرَ إِمَامُكَ. أَجْهَرُ بِالْبَسْمَلَةِ وَالْقُنُوتِ وَالْوَثْرِ وَمِنْ أَسْنَةِ أَنْ لَا تَجْهَرَ بِاسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ. وَلَا تَقْنُتَ فِي الْفَجْرِ إِلَّا أَنْ يَدْهَمَ الْمُسْلِمِينَ أَمْرٌ مِنْ عَدُوِّهِمْ فَيَقْنُتُ الْإِمَامُ فَتَتَّبِعُهُ."

[الشرح]

الحمد لله رب العالمين، الصلاة والسلام على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين؛ أما بعد:

فهذا القسم الذي قرأه علينا أخونا من كلام ابن بطة -رحمه الله تعالى- ينتظم مسألتين اثنتين:

← **المسألة الأولى:** المحبة في الله؛ والبغض في الله.

← **والمسألة الثانية:** النهي عن الإحداث والرأي، والاستماع لأهل الرأي.

النهي عن الإحداث للآراء -للرأي- والاستماع إلى أهل الرأي، وعلمه المصنف -رحمه الله- بأن أصحاب الرأي: الأَرَائِيَّين، أَرَأَيْتَ، أَرَأَيْتَ؟! الآراء تخطئ وتصيب، ليست ككلام الله، وكلام رسوله -صلى الله عليه وسلم-.

هاتان المسألتان اشتمل عليهما هذا المقطع من كلام المصنف -رحمه الله تعالى-.

فأما المسألة الأولى: وهي الحب في الله -تبارك وتعالى- والبغض في الله، فهذا من الإيمان، ولذلك أدخله أصحاب العقائد في كتب العقيدة، فهو أصل عظيم من أصول الدين، يجب على المسلم مراعاته، يعني الحب في الله، لأجل الله -تبارك وتعالى- لما تراه في الإنسان من صلاح واستقامة على دين الله وشرعه، فتحبه ولو كان بعيداً منك في النسب، أو بعيداً عنك في البلد، أو خالف مرادك الدنيوي، طلبت منه خدمة فلم يخدمك، طلبت منه مسألة فلم يعطكها من

أمور الدنيا؛ لكنه صاحب دين، واستقامة على شرع رب العالمين، فهذا تحبه الله -تبارك وتعالى-، فهنا تكون محبتك لله، ليست لأمر الدنيا.

هذا معنى قوله: " **مُحِبٌّ فِي اللَّهِ** " يعني: من أطاع الله، وأطاع رسوله -صلى الله عليه وسلم- ولو كان بعيدا نسباً، أو بلداً، أو ما حصلت منه منفعة، أو خالفك في أمر من أمور الدنيا، فأنت لم تعقد الحب له على سبب الدنيا؛ وإنما أحببته الله -جل وعلا-، فهذا أصل عظيم من أصول الدين يجب مراعاته.

والعكس؛ البغض في الله يكون لمن عصى الله -جل وعلا-، وعصى رسوله -صلى الله عليه وسلم-، وخالف الشرع الحنيف وإن كان قريبا منك: أخاً أو ابناً أو أباً، ولو كان -أيضاً- موافقا لك في دنياك: يعطيك ما تشاء، ما تسأل، كلما سألت في الدنيا أعطاك؛ لكنه في الحقيقة مخالف لأمر الله ورسوله -صلى الله عليه وسلم-، وأشد من ذلك لو كان موالياً لأعداء الله -تبارك وتعالى-، فإن الواجب أن تبغضه مع قربه منك نسباً أو تقربه إليك بالمنفعة لك، وذلك هو الدين الصحيح؛ بل لا يتم الدين ولا يظهر علم الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، بل ولا يقوم أمر الجهاد إلا بالحب في الله والبغض في الله.

فأنت إذا أحببت في الله قُرْبَت من أهل طاعته، وإذا أبغضت في الله بعدت عن أهل معصيته، وذلك سيحملك على الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ولا بد من وجود محبوب للإنسان في الله ومبغوض له في الله، وإلا لو كان الناس متفقين على طريقة واحدة ومحبة من غير عداوة كما يدعى إليه اليوم، ونراه ونسمعه في الدعوات في ما يسمى بحوار الأديان، وفي الحقيقة ليس هو الحوار الذي أنزله الله -تعالى- علينا في كتابه الذي أشار إليه في قوله -جل وعلا-: ﴿يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِّن دُونِ اللَّهِ﴾ الآية.

قال الله فيها: ﴿فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ﴾ [آل عمران: ٦٤]

هذا هو الحوار ندعوهم إلى عبادة الله وحده لا شريك له، والدعاء لأهل الكتاب الذين هم أهل رسالة سماوية منسوخة برسالة رسول الله -صلى الله عليه وسلم- فإذا كان هذا الدعاء لمن لهم كتاب إلى المحاورة على هذا النحو فالمشركين من باب أولى؛ المشركون إنما يبين لهم باطلهم الذي

عليه هم مقيمون، فإن أتوا إلى الإسلام هم وأهل الكتاب فالحمد لله ، ما أتوا إلى الإسلام فالبغض في الله - تبارك وتعالى - .

وهذا الذي يحاربه أعداء الله ورسوله اليوم ويسمون به إثارة النعرات الطائفية؛ يعني: أن تبغض اليهود والنصارى هذا لا يجوز في عرفهم وفي شرعهم وفي عقولهم الكاسدة وفي آرائهم الفاسدة؛ بل يريدونك أن تجعلهم كإخوانك على دينك وهذا محال قال الله - جل وعلا -: ﴿ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ ﴾ [الحجرات: ١٠]

قال - جل وعلا -: ﴿ لَا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ أُولَئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الْإِيمَانَ وَأَيَّدَهُم بِرُوحٍ ﴾ [المجادلة: ٢٢]

فلا يمكن أن تحب أعداء الله ورسوله ولو كانوا أقرب الأقربين منك؛ فلو كان الناس متفقين على هذه الطريقة التي يدعى إليها الناس لم يكن هناك بين الحق والباطل، ولا بين المؤمنين والكافرين، ولا بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان هذا كله مُسْقَط لهذه الأمور؛ وحينئذ فيذهب هذا الأصل الأصل وهو الحب في الله - تبارك وتعالى - والبغض فيه وقد جاءت بذلك الأحاديث ((أَوْثَقُ عُرَى الْإِيمَانِ الْحُبُّ فِي اللَّهِ ، وَالْبُغْضُ فِي اللَّهِ)) النبي - صلى الله عليه وسلم - يقول ((أَوْثَقُ عُرَى الْإِيمَانِ الْحُبُّ فِي اللَّهِ ، وَالْبُغْضُ فِي اللَّهِ)) فلا بد من أن تحب الله - تبارك وتعالى - أهل دينه وأوليائه وتبغض في الله - تبارك وتعالى - من كفر به وعصاه من أعدائه - سبحانه وتعالى - .

وفي هذا الحديث حث على البعد عن كل من كان مخالفاً لأمر الله ورسوله - صلى الله عليه وسلم - ((أَوْثَقُ عُرَى الْإِيمَانِ الْحُبُّ فِي اللَّهِ)) فأنت تحبه في الله لأجل ما ذكرنا.

وتبغض في الله؛ والبغض يورث المجانبة والمباعدة عمن عصى الله - سبحانه وتعالى - ورسوله - صلى الله عليه وسلم - فلا تركز إليه ولا تجلس إليه ولا تجتمع معه، وقد يقول قائل أفلا أدعوه، نقول باب الدعوة باب آخر تجلس معه بقدر الحاجة للدعوة نعم، تبين له أن دين الله كيت وكيت فيسلم؛ تعرض عليه الإسلام بحسنه وجماله وصفائه ورحمته ونقاؤه وما فيه من محاسن، ثم تقوم؛ لكن لا تتخذهُ صديقاً، وهكذا - أيضاً - دون ذلك المبتدع كذلك تبتعد عنه، ونصيحتة

باب، والجلوس إليه والركون إليه باب آخر، فالنصيحة مبذولة تنصح له في مجلس تكتب إليه كتابًا، تهاتفه ونحو ذلك؛ لكن أن تستمر على مجالسته وهو مستمر على بدعته هذا لا يمكن هذا باب آخر، لأن الجلوس والاجتماع بهؤلاء إن كانوا كفارًا أو مبتدعة من الأدلة الظاهرة على محبتهم - نسأل الله العافية والسلامة -.

وكلام الله وكلام رسوله - صلى الله عليه وسلم - في هذا واضح فلا يعترض علينا معترض يقول كيف أدعو؟! نحن ما قلنا لك إنك ممنوع أن تدعوه؛ بل جميعًا نحن ندعوه؛ لكن الدعوة لا تُوجب علينا المخالطة يكون صديقك في الأسفار والتنقل في الأقطار يكون معك في الليل والنهار يزورك وتروره يغشاك وتغشاه يعزمك وتعزمه يُؤكلك وتؤكله يجالسك وتجالسه هذا غير صحيح! هذا علامة على المحبة.

والسلف - رحمهم الله تعالى - أخذوا من هذه الأحاديث البعد عن أعداء الله ورسوله - صلى الله عليه وسلم -؛ لأن البغض لا يكتمل إلا باجتئاب مجالسهم إضافة إلى بغضهم القلبي؛ البغض القلبي: الحب في الله والبغض في الله، والحب من أعمال القلوب، والبغض من أعمال القلوب.

وقد قلنا إن الحب والبغض يحمل على الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، فأنت ما يمكن أن تجتمع أنت وصاحب الباطل بحالٍ من الأحوال؛ ولهذا النبي - صلى الله عليه وسلم - جعل هذا من علامات الإيمان وجعله دلالة ظاهرة على إيمان الإنسان؛ وتصله بناءً على هذه المحبة وتقطعه بناءً على هذا البغض فتصل بالمحبة من لم يكن قريبًا منك ما دام على الدين والاستقامة وتقطع بالبغض في الله - جل وعلا - من كان قريبًا منك لإقامته على معصية الله ورسوله - صلى الله عليه وسلم - ((ثَلَاثٌ مَنْ كُنَّ فِيهِ وَجَدَ بِهِنَّ حَلَاوَةَ الْإِيمَانِ)) النبي - صلى الله عليه وسلم - يقول حديث أنس - رضى الله عنه - ((ثَلَاثٌ مَنْ كُنَّ فِيهِ وَجَدَ بِهِنَّ حَلَاوَةَ الْإِيمَانِ: أَنْ يَكُونَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِمَّا سِوَاهُمَا)) هذا أولاً

((وَأَنْ يُحِبَّ الْعَبْدَ لَا يُحِبُّهُ إِلَّا لِلَّهِ ، وَأَنْ يَكْرَهُ أَنْ يَرْجِعَ فِي الْكُفْرِ بَعْدَ أَنْ أَنْقَذَهُ اللَّهُ مِنْهُ كَمَا يَكْرَهُ أَنْ يُقَذَفَ فِي النَّارِ أَوْ يُلْقَى فِي النَّارِ))

هذا أو هذا كله قد ورد عن رسول الله - صلى الله عليه وسلم -.

فهذه العلامات من علامات الإيمان، فقد وجد بهن حلاوة الإيمان الذي تتوفر فيه؛ **((ثَلَاثَ مَنْ كُنَّ فِيهِ وَجَدَ بِهِ حَلَاوَةَ الْإِيمَانِ))** والحلاوة أمرٌ قلبي هنا، والحديث الآخر حديث أبي هريرة - رضي الله تعالى عنه - أيضاً في هذا الباب أن النبي - صلى الله عليه وسلم - قال: **((مَنْ سَرَّهُ أَنْ يَجِدَ حَلَاوَةَ الْإِيمَانِ، فَلْيُحِبِّ الْمَرْءَ لَا يُحِبُّهُ إِلَّا لِلَّهِ))** فأنت انظر لنفسك إذا كان يسرك أن تجد هذه الحلاوة في نفسك فحقق الوزن بها في الدنيا، تحب أهل الإيمان والاستقامة والصلاح والطاعة للرحمن وهذا الحديث خرجته الحاكم بإسنادٍ حسن **((مَنْ سَرَّهُ أَنْ يَجِدَ حَلَاوَةَ الْإِيمَانِ، فَلْيُحِبِّ الْمَرْءَ لَا يُحِبُّهُ إِلَّا لِلَّهِ))** وجاء أيضاً في حديث معاذ بن أنس الجهني - رضي الله عنه - أسد جهينة كان يلقيه معاوية - رضي الله عنه - لأنه - رضي الله عنه - كان أماراً بالمعروف نَهَاءً عن المنكر لا يتعاضمه في ذلك أحد كبير أو صغير، شريف أو ضيع رئيس أو مرؤوس؛ يجري الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر على الجميع؛ لا يهاب في الله فلذلك لقبه معاوية - رضي الله عنه - بأسد جهينة فهذا معاذ بن أنس الجهني أسد جهينة - رضي الله عنه - يروي عن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - أنه قال: **((مَنْ أَعْطَى لِلَّهِ تَعَالَى ، وَمَنْعَ لِلَّهِ ، وَأَحَبَّ لِلَّهِ))** - هذه ثلاث- **((وَأَبْغَضَ لِلَّهِ))** هذه كم؟! أربع. ثم قال: **((وَأَنْكَحَ لِلَّهِ ، فَقَدْ اسْتَكْمَلَ إِيْمَانَهُ))**

← **((مَنْ أَعْطَى لِلَّهِ))** يعطي عطاءً إنما يريد به الأجر عند الله - تبارك وتعالى - ما يريد مكافأه عليه ولا جزاءً ولا يردّه إليه الإنسان غداً يكاف به.

← **((وَمَنْعَ لِلَّهِ))** رأى هذا الإنسان ليس أهلاً فمنعه لأجل الله - تبارك وتعالى - وإلا يستطيع يعطيه؛ لكنه منعه بغضاً له، لله - جل وعلا - منعه ما يريد.

← كذلك **((وَأَحَبَّ لِلَّهِ وَأَبْغَضَ لِلَّهِ))** وقد تقدم الكلام عليه.

← ثم **((وَأَنْكَحَ لِلَّهِ))** أنكح لأجل استقامة المرء في دينه وخلقه وأمانته

ولو كان فقيراً صعلوكاً لا مال له، مادام صاحب طاعة وديانة وخوف من الله وتقوى وخير فإنه يُنكحه لأجل هذا ولو جاءه أفضل الناس من حيث الدنيا مالاً وجاهاً ومكانةً وأبهةً وشرفاً وعظمةً؛ لكن فيه من الفسق ما فيه لا يمنعه ذلك من أن يقول له لا. لا أزوجه.

هذا سعيد بن المسيب يأبى - رحمه الله - أن يزوجه ابنته أميراً من أمراء بني أمية ولي عهد المسلمين؛ ويزوجهما لأبي وداعة من طلابه صعلوك فقير لا مال له؛ لكنه على دين وعلم وتقى،

فزوجها إياها.

وهو سعيد بن المسيب ومن سعيد بن المسيب - رضي الله عنه - ؟ فأنكح الله - تبارك وتعالى - لا لأجل الدنيا؛ لأنه نظر في تلميذه أبي وداعة وإذا بالإيمان فيه والصلاح فيه والاستقامة ظاهرة عليه؛ فأعطاه ابنته وهذا الحديث خرج الإمام أحمد والترمذي، وقال الترمذي: منكر، وصححه الحاكم والحق أنه حديث حسن - إن شاء الله - وليس بمنكر والأحاديث الأخرى الصحيحة كلها تشهد له، وحديث البراء بن عازب الذي تقدم معنا أوثق عرى الإيمان ((أن تحب في الله وتبغض في الله)) أو ((والحُبُّ في الله ، والبُغْضُ في الله)) وهذا في سنده ليث بن أبي سليم؛ ولكن يشهد له ما تقدم من الأحاديث.

فالشاهد: الحب في الله والبغض في الله عليهما قام أمر الدين، وأمر الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وأمر الولاية والمعاداة، وأمر الجهاد لأعداء الله - تبارك وتعالى - وأعداء رسوله - صلى الله عليه وسلم -؛ وكما قلت لكم هذه الأحاديث تضرب في نحر من يردد هذه الدعاوى الباطلة اليوم يريد الناس أن يعيشوا على محبة واحدة اليهودي أخوك والنصراني أخوك؛ بل أكثر من ذلك البوذي أخوك والوثني المشرك أخوك، بل وأكثر من ذلك لا يريدونك أن تقول إنه كافر نصراني يهودي لأ، الآخر تقول له، التعايش مع الآخر، ما شاء الله ! التعايش يعني: مع الكفار لكنهم خشوا أن ينفضحوا، وإلا ما عندهم حياء، لو استحووا ما قالوا بهذا؛ لكنهم خشوا أن ينكشفوا فبدل أن يقولوا التعايش مع الكفار صريحة من غير بغض ولا كراهة لما هم عليه؛ لأن هذا سيرده عليهم عوام المسلمين فذهبوا إلى الكلمة هذه الأخرى فقالوا : التعايش مع الآخر؛ يعني: ما فيه بغض للمشركين وللکفار فضلاً عن المبتدعة، فنحن نسأل الله العافية والسلامة فهؤلاء إنما يهدمون هذا الباب الحصين الذي يُدخل منه إلى الإسلام وإلى أهل الإسلام ألا وهو الحب في الله والبغض في الله فأنت تصل على ذلك تصل في الله تعطي وتحسن الله - تبارك وتعالى -؛ لأنك تحب هذا العبد لله، وتقطع على ذلك؛ لأنك تبغضه في الله لا تعطيه ولو كان أقرب قريب؛ فالوصل والقطع مُنبني على المحبة والبغض.

وأما المسألة الثانية: في الحديث فهي قوله -رحمه الله تعالى- : " وَلَا تُحَدِّثْ رَأْيًا وَلَا تُصْنَعْ إِلَى قَائِلِهِ فَإِنَّ الرَّأْيَ يُخْطِئُ وَيُصِيبُ. "

هذه المسألة الثانية: وهي النهي عن الرأي وقد اتفقت كلمة أهل السنة والحديث على ذم الرأي؛ اتفقت كلمتهم عن بكرة أبيهم لا خلاف بينهم؛ أهل السنة والحديث، أهل السنة والأثر اتفقت كلمتهم لا خلاف بينهم على ذم الرأي وأهل الرأي والنكير عليهم والتحذير منهم والإصغاء لهم، ومن أعلى ما يُروى في هذا ما جاء عن أمير المؤمنين عمر بن الخطاب -رضي الله تعالى عنه- فيما خرج الدارقطني في سننه واللالكائي في شرح أصول الاعتقاد والهروي في ذم الكلام وغيرهم، عنه -رضي الله عنه- أنه قال: " أصحاب الرأي أعداء السنن؛ أعييتهم الأحاديث أن يحفظوها وتفلتت منهم فلم يعوها فقالوا بالرأي فضلوا وأضلوا "، وخرج عنه أيضاً الآجري في الشريعة بإسناد صحيح عن أمير المؤمنين عمر بن الخطاب -رضي الله عنه- أنه قال: - " القرآن كلام الله فلا تصرفوه على آرائكم "، يعني: اطلبوا تفسيره من القرآن نفسه أو من سنة رسول الله - صلى الله عليه وسلم - أو مما فهمه عليه أصحاب رسول الله - صلى الله عليه وسلم - أما على آرائكم لأ؛ ولا على أهوائكم.

يقول ابن القيم -رحمه الله تعالى- في إعلام الموقعين في الكلام على الرأي وذمه لما ذكر هذا الأثر عن أمير المؤمنين عمر قال: " وأسانيد هذه الآثار عن عمر في غاية الصحة " لما تكلم عن الفتية والرأي وحذر من الكلام بالرأي -رحمه الله تعالى- ونقل جملة صالحة من كلام أئمة السنة والأثر في هذا؛ ومن نقل عنهم وابتدأ بهم أمير المؤمنين عمر بن الخطاب فذكر عنه ألفاظاً منها هذا الذي ذكرناه ثم قال: " هذه الآثار ثابتة عن عمر - رضي الله تعالى عنه - بأسانيد صحيحة "

وأيضاً عبد الله بن عباس -رضي الله تعالى عنهما- قال: " إياكم والرأي فإن الله رد على الملائكة الرأي؛ فقال: ﴿ قَالَ إِيَّيَّيْ أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴾

﴿ قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ قَالَ إِيَّيْ أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴾ [البقرة: ٣٠]

فيقول ابن عباس -رضي الله تعالى عنهما: " إن الله رد على الملائكة الرأي فقال لهم: ﴿ قَالَ إِيَّيْ

أَعْلَمَ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٤٩﴾

وقال لنبیه: ﴿وَأَنِ احْكُم بَيْنَهُم بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ﴾ [المائدة: ٤] ولم يقل بما رأيت

هذا أثر عظیم عن ابن عباس ﴿وَأَنِ احْكُم بَيْنَهُم بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ﴾ [المائدة: ٤٩]

ولم يقل بما رأيت " إن حكمت فتحكم بما أنزل الله لا بما رأيت، إذا أفتيت تفتي بما قال الله وقال رسوله -صلى الله عليه وسلم- لا بأرى وأرى؛ وإنما تفتي بكلام الله وكلام رسوله -صلى الله عليه وسلم- ما استطعت إلى ذلك سبيلا كما سيأتي -إن شاء الله تعالى- معنا فابن عباس -رضي الله تعالى عنهما- يقول: " إِنَّ اللَّهَ قَالَ لِرَسُولِهِ -صلى الله عليه وسلم- ﴿وَأَنِ احْكُم بَيْنَهُم بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ﴾ [المائدة: ٤٩] ولم يقل بما رأيت "

والإمام مالك -رحمه الله تعالى- يقول في هذا: " قُبِضَ رَسُولُ اللَّهِ -صلى الله عليه وسلم- وقد تمّ هذا الأمر واستكمل " يعني أيش؟! يعني: الدين "

﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتِمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي﴾ [المائدة: ٣]

فيقول مالك رضي الله عنه يقول: " إِنَّ النَّبِيَّ -صلى الله عليه وسلم- قُبِضَ وقد تمّ هذا الأمر واستكمل - يعني: الدين- فإتّما ينبغي أن تُتبع الآثار عن رسول الله -صلى الله عليه وسلم- ولا يُتبع الرأي، فإنك متى اتبعت الرأي جاء رجل آخر أقوى في الرأي منك فاتبعته، هذا قوي وذاك أقوى، هذا ذكي وذاك أقوى، هذا فصيح وذاك أفصح؛ فإذا جاءك من هو أقوى منك اتبعته فأنت كلّما جاء رجل اتّبعته " يقول.

وهذا الأثر عنه أخرجه يعقوب بن سفيان البسوي -رحمه الله- في المعرفة والتاريخ.

وصدق -رحمه الله- إذا كانت المسألة بالرأي؛ أنت الآن ترى رأياً يأتي غيرك أقوى وأذكى منك وأكثر دقة في الفهم فيأتيك بما لم يخطر لك فتتبعه؛ يأتي بعد ذلك ثانٍ أقوى من الأول فتتبعه، يقول مالك: " فأنت على هذه الحال كلّما جاء آخر أقوى في الرأي اتبعته "

ثمّ قال: " أرى هذا لا يتم " يعني: هذا المذهب لا يتم هذا الدين لصاحب هذا الشيء لا يتم ولا يقف عند حد، " أرى هذا لا يتم " يعني: من كان دينه هكذا لا يتم له أمر فليس هو ومن قال

الله لهم ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتِمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي﴾ [المائدة: ٣]

سواء؛ لأنّ من اعتقد كمال الدين وقف أليس كذلك؟! وأما هذا كلّما جاءه رجل أجدل وأقوى رأيًا اتبعه فلا يتم له حال.

ويقول الإمام أحمد-رحمه الله تعالى- في هذا: " لا تكاد ترى أحدًا نظر في الرأي إلا وفي قلبه دغن"

"لا تكاد ترى أحدًا في هذا" يعني: في مسألة الدين "في هذا" يعني: في الدين؛ "نظر في الرأي إلا وفي قلبه دغن"

وصدق-رحمه الله- من ترك الأخبار والآثار الواردة عن رسول الله- صَلَّى الله عليه وسلّم- ويذهب إلى الآراء ورأي فلان ورأي فلان في قلبه دغن لا شك.

وقال أيضا-رحمه الله-: "إنّما على الناس اتّباع الآثار عن رسول الله- صَلَّى الله عليه وسلّم- ومعرفة صحيحها من سقيمها ثمّ بعد ذلك قول أصحاب رسول الله- صَلَّى الله عليه وسلّم-؛ فإذا لم يكن قول بعضهم لبعض مخالفاً، فإن كان نظراً"

يعني: إذا حصل خلاف بينهم "نظر فأَي قولهم كان أشبه بالكتاب أخذ به أو بقول رسول الله - صَلَّى الله عليه وسلّم- أخذ به؛ فإذا لم يأت عن النبي- صَلَّى الله عليه وسلّم- ولا عن أحد من أصحابه يُنظر في قول التابعين فأَي قولهم كان أشبه بالكتاب والسنة أخذ به وترك ما أحدث النَّاس بعده."

وهذا أيضا ذكره ابن القيم -رحمه الله تعالى- وهو موجود في بدائع الفوائد في الطبعة الجديدة؛ فالشاهد أنّ الأمر عندهم- رحمهم الله تعالى- كان على إيش؟! كان على قضية الاتباع والتّسليم للآثار الواردة عن رسول الله -صَلَّى الله عليه وسلّم-

وخرّج ابن عبد البرّ في الجامع - جامع بيان العلم وفضله- وما ينبغي في روايته وحمله عن أبي بكر بن أبي داود صاحب الحائية؛ الحافظ-رحمه الله- قال: " أهل الرأي هم أهل البدع" وصدق؛ لأنّ الآراء منتجة للبدع صدق-رحمه الله-.

لأن البدع إنّما هي ناتجة عن الرأي؛ وأما الوحي فنتيجته العصمة والسلامة؛ الوحي: التمسك به كتابا وسنة نتيجته العصمة من الخطأ و السلامة من الزّلل.

ويقول حرب الكرماني في عقيدته المشهورة لما جاء ذكر الرّأي وأهل الرّأي قال: " هم مبتدعة

ضلال أعداء السنة والأثر يرون الدّين رأياً وقياساً واستحساناً" هذا الدّين عندهم رأي فلان وقياس فلان واستحسان فلان، ثم قال: "وهم يخالفون الآثار ويبتلون الحديث" إلى أن قال: "فكفى بهذا غيّا وطغيانا" وصدق - رحمه الله -.

وتكلّم الحافظ ابن رجب - رحمه الله - في جامع العلوم والحكم بكلام جميل عن أهل الحديث والآثر وأهل الرّأي فقال - رحمه الله تعالى - عن الذين توسّعوا في الرّأي من أهل الرّأي قال: "منهم من توسع من توليد المسائل قبل وقوعها، ما يقع منها عادة وما لا يقع - هذا في جامع العلوم والحكم - واشتغلوا بتكلّف الجواب عن ذلك"

يعني: عن هذه الآراء التي افترضوها "وكثرة الخصومات فيه والجدال عليه" يعني: على الرّأي الذي رأوه "حتى تولد من ذلك افتراق القلوب واستقر بسببه الأهواء فيها، والشحناء والعدواة والبغضاء واقترن ذلك كثيراً بنية المغالبة" يعني: من يغلب ومن يظهر في رأيه " وطلب العلو والمباهاة وصرف وجوه الناس - يعني: إليه - وهذا مما ذمه العلماء الربانيون" يقول: " هذا مما ذمه العلماء الربانيون" بل قال: "ودلت السنة على قبحه وتحريمه" ولا شك؛ لاشك أن هذا الكلام واضح.

ثم انتقل إلى أهل الحديث والآثر قال: "وأما فقهاء أهل الحديث والعاملون به فإن معظم همهم البحث عن معاني كتاب الله - عز وجل -، وما يفسره من السنن الصحيحة؛ وكلام الصحابة وكلام التابعين لهم بإحسان؛ وأيضاً البحث عن سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم - ومعرفة صحيحها وسقيمها، ثم التفقه فيها وتفهمها والوقوف على معانيها، ثم معرفة كلام الصحابة والتابعين لهم بإحسان في أنواع العلوم" هذا طريق أهل الأثر إلى أن قال - رحمه الله -: " هذا هو طريق الإمام أحمد ومن وافقه من علماء الحديث الربانيين"

فهذا الوصف لأهل السنة والأثر بأنهم هم الربانيون - رحمهم الله - قال: " هذه طريقة أحمد ومن وافقه من أهل الحديث من علماء الحديث الربانيين" ثم قال - رحمه الله -: " وفي معرفة هذا شغل شاغل عن التشاغل بما أحدث من الرّأي" ما عندك وقت في الآراء وقتك كله تصرفه في تتبع حديث رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ومعرفة صحيحه ومعرفة ضعيفه والبحث في الضعيف؛ هل يوجد له ما يقويه من الطرق والمتابعات والشواهد ولا لأ فأنت مستغرق وقتك

كله في ماذا؟! معرفة سنة رسول الله - صلى الله عليه وسلم-، ومعرفة صحيحها من سقيمها، والاجتهاد في معرفة السقيم الذي وقفت على سقمه هل له ما يقويه فيرتفع ويزاد عندك في مقدار الصحيح أم لا يوجد له متابع ولا مشاهد فلا يتقوى به فحينئذ لا تعمل به في دينك؛ هذا كم يأخذ عليك من الوقت؟! وقتك كله. قال: "ففي هذا شغل شاغل عن التشاغل بما أحدث من الرأي ما لا ينتفع به ولا يقع؛ وإنما يورث التجادل فيه كثرة الخصومات والجدال" ثم ذكر أثر يونس بن الثري السقفي المعروف المشهود اللي قال: "نظرت في الأمر فإذا هو الحديث والرأي" يعني: نظرت في أمر الواقع فإذا هو إما الحديث، وإما الرأي "فوجدت في الحديث ذكر الرب - جل وعز- وربوبيته وجلاله وعظمته، وذكر العرش وصفة الجنة والنار، وذكر النبيين والمرسلين، والحلال والحرام، والحث على صلة الأرحام..... إلى آخره" قال: "وجدت جماع الخير فيه؛ ونظرت في الرأي فإذا فيه المكر والحيل والخديعة وقطيعة الرحم وجماع الشر فيه"

حكاه ابن رجب -رحمه الله- في الجامع.

وقال أحمد بن شويه المحدث المعروف -رحمه الله- "من أراد علم القبر فعليه بالآثار، ومن أراد علم الخبز فعليه بالرأي" يعني: إذا أردت الآخرة فعليك بالأخبار الواردة عن رسول الله -صلى الله عليه وسلم- وإذا أردت الدنيا والجاه فعليك بأرى ورأيت؛ يساق لصاحب الرأي عشرات النصوص عن رسول الله - صلى الله عليه وسلم- وهو يُعمل رأيه فيها؛ إما ينكرها وإما يتعسف في تأويلها، وإما يضعفها وهي صحيحة وهو ليس من أهل الفن والمعرفة بهذا الفن فيردها؛ لأنه لا يريد أن يفتي الناس إلا بما يرضيهم حتى يبقى جاهه بينهم ويصرف به الأنظار إليه؛ هذا هو العالم! هذا هو اللي يصلح للناس! فيحينئذ الدنيا تعمُر له؛ أمّا الذي يُمسك الناس بالكتاب والسنة، وينص على مخالفتهم إن هم خالفوا الآثار والأخبار فهذا غالبًا يصطدم بالناس وبآرائهم وشهواتهم ورغباتهم؛ فحينئذ يميلون عنه؛ ولكن الموفق من وفقه الله - سبحانه وتعالى- وليُعلم أن العلة المختصرة في هذا الكلام جامعةٌ لذلك كله وهي قول المصنف -رحمه الله-: "والرأي يُخطئ ويُصيب".

فأيهم أحب إليك أيها المسلم! ما ضمنت لك فيه العصمة والسلامة بفضل الله وهو الوحي. أم

ما لم تضمن لك فيه السلامة وهو الرأي! فاختر لنفسك؛ والعاقل يعرف ذلك.
ولعلنا نقف عند هذا الحد والله أعلم وصلى الله وسلم وبارك على عبده ورسوله نبينا محمد
وعلى آله وأصحابه وأتباعه بإحسان إلى يوم الدين.

وللاستماع إلى الدروس المباشرة والمسجلة والمزيد من الصوتيات يُرجى زيارة موقع ميراث الأنبياء على الرابط

miraath.net

وجزاكم الله خيرا.